

## ما يحتاج إليه المفسر من فنون البلاغة

نتطرق هنا إلى أقرب العلوم للقرآن وهو علم التفسير، وما على المفسر أن يتسلح به أثناء تصديده لمهمة التفسير، والحقيقة أن المفسر يحتاج إلى إتقان عدد من العلوم ذات العلاقة بالقرآن، ومن أهمها علوم اللغة؛ وذلك لينفذ إلى أسرار القول ويغوص في معانيه. وما زال السلف ومن كان على هديهم يستدلون على معاني الكتاب والسنة بكلام العرب من شعر وغيره، وإذا أشكل عليهم فهم لفظة أو تركيب رجعوا إلى كلام العرب وأسلوبها في الكلام، وقد حكى صاحب كتاب "المباني في نظم المعاني" إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تفسير القرآن على شرائط اللغة. فعملُ مفسري السلف رحمهم الله بالأخذ بلغة العرب في التفسير إجماعٌ فعلي منهم، ويفهم من ذلك أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن؛ لأن من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها القرآن فإنه لا شك سيقع في الزلل؛ بل سيحرف الكلم عن مواضعه.

وبالبلاغة إحدى الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الإعجاز وتوجه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر، وقد نعى السكاكي على المفسر الذي لا يعرف من البلاغة شيئاً، وأصبحت كتب البلاغة سبيلاً تفضي إلى رحاب القرآن ومعالم يهتدي بها الدارسون، ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وإدراك فصاحته وبلاغته.

وهي علوم المعاني والبيان والبديع، لأن المفسر يعرف بالأول خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم هي أعظم الشروط التي ينبغي توفرها في المفسر، ذلك أنه مطالب بمراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.

والملاحظ أن النصوص الأدبية الرفيعة لا تدرك إلا بالدق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة وغيرهما يكون من أهل الدق، وممن يصلح لانتقاد تلك النصوص. وإنما أهل الدق هم الذين يشتغلون بعلم البيان وروّضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فهؤلاء يمكن الاعتماد عليهم في انتقاد النصوص وتمييزها.

وتتحقق أهمية هذا العلم في معرفة إعجاز القرآن، وذلك بما يمتاز به هذا الكتاب العزيز من نظم بديع وترتيب وتنسيق وجزالة في الألفاظ وسمو المعاني، ولا عجب في ذلك فهو كتاب رب العالمين الذي تولى حفظه وأحكم نسجه.

وإن نظرة إلى بعض كتب التفسير حقيقة بأن تبين مدى ماتزخر به تلك المؤلفات من الوقفات البلاغية. من أشهر كتب التفسير ذات العناية بالبلاغة:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود.

٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه: لحي الدين الدرويش.

٣- أنوار التنزيل للبيضاوي.

٤- البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان.

٥- التحرير والتنوير: لابن عاشور.

٦- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين الرازي.

٧- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة.

٨- الكشف: للزمخشري.

٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية.

١٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي.